المستوى التركيبي

وهو المستوى الثالث من مستويات اللغة، ونأخذ فيه موضوعًا وهو (القرائن النحوية).

القرائن النحوية

ترتبط الكلمات بعلاقات نحوية معينة، والتي سُميت فيما بعد بـ(القرائن)، وهي التي تقوم بعملية نقل ما في ذهن المتكلم من أفكار إلى السامع ، وهذه القرائن قد لا يدركها المتكلم، بل هي سليقة لا يشعر بها المتكلم، وقد اهتم بها المحدثون كثيرًا، ولعل من أوائل الذين بحثوا فيها هو الدكتور تمام حسّان في كتابه(اللغة العربية معناها ومبناها)، لذا فإننا سنجعل هذا الكتاب مصدرًا لحديثنا عن القرينة النحوية ، يضاف إليه كتاب الدكتور محمد محمد يونس (المعنى وظلال المعنى: أنظمة الدلالة في العربية) .

١. مفهوم القرينة

القرينة في اللغة: من المقارنة، وفي الاصطلاح : أمر يشير إلى المطلوب، وهي إما لفظية، مثل الترتيب في نحو(ضرب موسى عيسى)، وإما معنوية مثل: (أكل الكمثرى موسى، وأرضعت الصغرى الكبرى)، أو حالية مثل : (راشدًا مهديًا)، والتقدير: والتقدير اذهب راشدًا مهديًا.

٢. أقسام القرائن النحوية

قسّم الدكتور تمام حسّان القرائن على:

أ . القرائن اللفظية

وتشمل:

١. قرينة الإعراب

من المعلوم أن اللغة العربية هي لغة معربة، أي أنها محركة الأواخر، وهذا التحريك هو إعراب للكلمات الواردة في السياقات المختلفة، وللحركة أيضًا الأثر الكبير في تغير المعنى، والدليل على ذلك أنك لو تمعنت في الجمل الآتية:

أ ١. ما أحسنَ زيدًا ٢. ما أحسن زيدٌ

الجملة الأولى: وقع (زيدًا) منصوبًا ودلَّ النصب على أن المتكلم يتعجب من حسن زيد، وفي الجملة الثانية: وقع (زيد) مرفوعًا، فدل الرفع أن المتكلم ينفي أن يكون زيدًا قد أحسن.

ب . ١. ما أجملَ السماءَ ٢. ما أجملُ السماءِ

الجملة الأولى: بنصب (السماء) وفتح لام (أجمل)، ودلّ هذا على معنى التعجب، والجملة الثانية: على العكس بالرفع في (أجمل) والجر في (السماء) فكان المعنى استفهامًا، والتقدير: أي شيء في السماء أجمل.

ج . ١. ضرب زيدٌ عمرًا ٢. وضرب زيدًا عمرو

نجد أنّ العلامة الإعرابية هي التي تفرق بين الفاعل والفعل.

نلاحظ أنَّ الإعراب هو من أهم القرائن الدالة على اختلاف المعاني في المواضع أعلاه، ولا يقتصر الأمر على قرينة الإعراب بل هناك قرائن أخرى تدل على التركيب النحوي ، منها

ب قرينة الترتيب

يراد بالترتيب: ((جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد، ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى بعض بالتقدم والتأخر)).

لاحظ الجمل الآتية:

أ . ١. ضرب موسى عيسى ٢. ضرب عيسى موسى

ب . ١. السلام عليكم (تحية) ٢. وعليكم السلام(رد التحية)

ج. ١. قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل ٢. نبكِ قفا حبيبِ ذكرى من ومنزلٍ

نلاحظ في (أ) أن قرينة الترتيب هي التي تدلنا على الفاعل والمفعول، ففي (١) موسى فاعل وعيسى مفعول به، و(٢)عيسى فاعل وموسى مفعول به.

ولا تقتصر فائدة قرينة الترتيب على المقصور بل يُفاد منها حتى في الجمل المعربة،

فلو لاحظنا (ب) نجد أنّ الترتيب هو الذي يهدينا إلى معرفة الفرق فيما بين العبارتين.

وفي (ج) نلاحظ أن الترتيب هو من دوال المعنى، إذ بقي الإعراب على ما هو عليه في الجملتين إلا أنَّ المعنى مختلف فيما بينهما، والواقع أن إعادة ترتيب الكلمات في (٢) أدى إلى اضطراب نسقها المألوف.

ت. قرينة الأداة

قد تكون الأداة اسمًا أو حرفًا، وهي من أهم الوسائل التي تغير المعنى النحوي في الجمل العربية، لاحظ الجمل الآتية:

أ . ١. جاء خالد وسعيد

٢. جاء خالد فسعيد

٣. جاء خالد ثم سعيد

ب. ١. كأنّ زيدًا أخوك

٢. لكنّ زيدًا أخوك

٣. لعل زيدًا أخوك

ت. ١. هل ذهبت إلى المدرسة

٢. هلا ذهبت إلى المدرسة

نجد أن الجمل في (أ) بينها فرق في المعنى دلت عليه قرينة الأداة، ففي(١) تفيد مجي كل من خالد وسعيد، وليس فيها ما يدل أنهما جاءا معًا، أو أنَّ أحدهما سبق الآخر، لأن الواو تفيد التشريك في الحكم.

وفي(٢) أعطتنا قرينة الأداة (الفاء) أن خالدًا وسعيدًا اشتركا في المجيء غير أنّ سعيدًا جاء بعد خالد مباشرة، لأن قرينة الأداة تدل(الفاء) تدل على الترتيب.

وفي(٣) دلت قرينة الأداة (ثم) أنَّ سعيدًا قد جاء بعد خالد بمدة من الزمن وليس مباشرة، لأن الأداة (ثم)تفيد التراخي.

أما الجمل في (ب) فقد دلت الأداة في(١) على التشبيه، وفي(٢) على الاستدراك، وفي (٣) على الترجي.

أما الجمل في (ت) فقد دلت الأداة في(١) على معنى الاستفهام، وفي(٢) على معنى التحضيض.

ث.قرينة المطابقة

ونعني بالمطابقة ما يحدث من توافق بين كلمة وأخرى في التعريف والتنكير، وفي العدد(الإفراد والتثنية والجمع) والنوع (التذكير والتأنيث)، كما في الجمل الآتية:

أ ١. ضربت موسى لبنى ٢. ضربت لبنى موسى

ب ١. عجبت من صبر الفتاة الطويل ٢.عجبت من صبر الفتاة الطويلة

ت ١.ساعدت زيدًا القائم ٢. ساعدت زيدًا قائمًا

ث ١. زيد الطبيب حكيم ٢. زيد طبيبٌ حكيم

نلاحظ ما يلي: في (أ) دلت قرينة التطابق أن الفاعل في (١) هو لبنى؛ لأنها تتناسب مع تاء التأنيث في(ضربت).

وفي (ب) قد أوضحت قرينة التطابق في (١) أنَّ صاحب الوصف(الطويل) هو (صبر الفتاة) في حين أنَّه في(٢) الفتاة نفسها.

أما(ت) فقد دلت المطابقة بين (زيدًا) و (القائم) في التعريف وفي(١) (القائم) نعت لزيد بدليل أنّ حذف (ال) من القائم في (٢) وهو الذي أخل بالمطابقة ، أدى إلى أن تكون (قائمًا) حالا، بعد أن كانت نعتًا.

وكذلك الأمر في (ث) فإنّ المطابقة بين (زيد) و(الطبيب) في (١) جعلتنا نحكم بأن الطبيب نعت لزيد،، فلما أزيلت (ال) في (٢)أصبحت كلمة (طبيب)خبرًا لـ(زيد)، بعد أن كان نعتًا.

ج قرينة الربط

أ ١. البيضُ أكثرُهُ من الدجاجِ ٢.البيضُ أكثر من الدجاج

ب ١. جاء خالدٌ يضحك ٢. جاء خالدٌ ، يضحك زيدٌ

يؤدي الإخلال بالربط في هذه الجمل (على سبيل المثال) التي يشترط اشتمالها على رابط يعود على ما تقدّم أن تكون أجنبية عما قبلها ، فالمثال(أ) (١) أنّ الجملة التي هي خبر لكلمة (البيض) قد اشتملت على ضمير يعود على (المبتدأ) فأصبحت مرتبطة بما قبلها باعتبارها خبرًا له، وعندما حُذف هذا الرابط كما في(٢)أصبح الخبر هو (أكثر) وتغير المعنى تبعًا لذلك.

أما (ب) فإنَّ جملة (يضحك) قد ارتبطت بما قبلها بضمير يعود على خالد ، فبدت جملة (يضحك) حالا من (خالد)، وقد فقدت هذه الجملة الرابط الذي يربطها بما قبلها، أصبحت أجنبية عما قبلها،وتغير المعنى تبعًا لذلك، وهذا يؤكد أهمية وجود الرابط في مثل هذه المواضع لكونه قرينة نحوية.

د. قرينة صنف الكلمة

المقصود بصنف الكلمة هوأوسع قليلا مما قصده النحاة بأقسام الكلمة وهم يُقصرونها على (الاسم والفعل والحرف) ويراد بصنف الكلمات أنواعًا أخرى تضاف إلى هذه الأنواع، وهي(المصادر والصفات)، وبعضهم يسميها بـ(القِسم)، إلا أن الدكتور محمد محمد يونس يرى مصطلح (صنف الكلمات)أفضل من المصطلح السابق، ويرى أنّ كلا من (المبنى والمعنى) يؤديان إلى التعرف على (صنف الكلمات).

والمثال على ذلك:

أ ١. الصاغم يصغم بندوسًا ٢. الصاغم يصغم صغمًا

٣.الصاغم يصغم تفعينًا ٤. الصاغم يصغم ماشفًا

ب. ١. شربتُ ٢. شربت شربًا

٣. شربت مجاملة ٤. شربت واقفًا

٥ .شربت ليلا

هذه الجمل جمل صحيحة الصياغة نحويا، ولها مواقع إعرابية صحيحة، وهي موافقة للقوالب العربية، إلا أنّها غير صحيحة معجميًا؛ لأنها من الألفاظ المهملة، فـ(بندوسًا) مفعول به، و(صغمًا) مفعول مطلق، و(تفعينًا) مفعول لأجله، و(ماشفًا) حال.

ولا شك أننا نكون أقدر على إعراب الكلمات في (ب) مثل:(ماءً) و(شربًا) و(مجاملةً) و(واقفًا) و(ليلاً)، وسيكون إعرابها اسلم وسبب ذلك أنَّ المعاني المعجمية معروفة لهذه الكلمات مما اسهم في مساعدتنا في معرفة أصناف تلك الكلمات، وقد تشتد الحاجة إلى معرفة المعنى المعجمي كي نعرب الكلمة إعرابًا صحيحًا إذ لا يمكن تجاهل المعنى المعجمي للفظة لأنّه يهدينا إلى معرفة الإعراب، والدليل على ذلك ما ورد في (ب)(١) و(ب)(٥) إذ لو كان المُعرب لا يعرف معنى كلمة(ماء)و(ليلا) لما استطاع أن يعرب الأولى مفعولا به، والثانية مفعولا فيه.

وإذا ما لاحظنا الكلمات في (ب) نرى أنّ ما حدد المعنى النحوي للكلمات(ماءً، شربًا مجاملةً ، واقفًا ، ليلاً) هو صنف الكلمات، إذ كانت الأولى اسمًا فأعربت مفعولا به، وكانت الثانية مصدرًا فكان إعرابها إما مفعولا مطلقًا أو مفعولا لأجله، وقد تحدد كونها مصدرًا للفعل السابقة الجملة ، وكانت الثالثة مصدرًا فانحصر إعرابها كونها مفعولا مطلقًا، أو مفعولا لأجله، وقد تحدد إعرابها مفعولا لأجله، وقد تحدد مفعولا لأجله بمعونة المعنى إذ بين المصدر علّة الفعل وعذره، وكانت الرابعة وصفًا مشتقًا فأعربت حالا، نلاحظ أن قرينة الإعراب ليست كافية في معرفة إعراب هذه الكلمات؛ لأنها مشتركة في النصب.

ذ. قرينة الصيغة

مصطلح الصيغة له مفهوم محدد ههنا، إذ يُطلق على الوحدة المقيدة التي لها دلالة قواعدية وليست لاصقة، ي أنها مصرّف مقيد ومن استخدامات الصيغة التصريفية دلالاتها على الفعل من حيث كونه ماضيًا أو مضارعًا أو أمرًا، وكونه مبنيًا للمجهول والمعلوم وكذا دلالتها على المشتقات وتمييزها بين اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبه...إلخ، مثل:

Ĝ ١. أَعطى زيدٌ جائزة ٢. أُعطي زيدٌ جائزة

وقد يُفضي تغيير صيغة معينة إلى تغيير المعنى برمته، من ذلك ما ورد في (أ) في (١)و(٢) إذ كانت الصيغة في الأولى مبنية للمعلوم والثانية للمجهول ففي الأولى كان (زيدٌ) فاعلا، وأصبح في الثانية نائبًا عن الفاعل.

هذه من أهم القرائن اللفظية، وهناك قرائن أخرى مثل: (قرينة الاستدعاء الوظيفي، و قرينة النماذج المتحجرة ، وقرينة الوقف، وقرينة التنغيم وغيرها)، غير أننا نكتفي بما مرّ ذكره.

ب.القرائن المعنوية

وتشمل:

١. الإسناد (وهو علاقة المبتدأ بالخبر، والفعل بفاعله، والفعل بنائب فاعله...)

٢. التخصيص: وهو علاقة سياقية كبرى ، وتتفرع منها قرائن أخص منها وهي على النحو الآتي:

القرينة المعنوية	المعنى الذي تدل عليه
١. التعدية	المفعول به
٢. الغائبة	وتشمل(المفعول لأجله، والمضارع بعد اللام
٣. المعية	المفعول به، والمضارع بعد الواو
٤. الظرفية	المفعول به
٥. التحديد والتوكيد	المفعول المطلق

٦. الملابسة الحال

٧. التفسير التمييز

٨. الإخراج الاستثناء

٩. المخالفة الاختصاص وبعض المعاني الأخرى

٣. النسبة: وهي قرينة كبرى مثل قرينة التخصيص، وتضم قرائن معنوية فرعية أخرى، ومنها حروف الجر، ومعنى الإضافة.

٤. التبعية: وتضم (النعت، والعطف ، والتوكيد، والإبدال).

ومما يذكر أنَّ المتكلم في أية لغة كانت يحتاج إلى معرفة وفهم العلاقات المنطقية بين ما تدل عليه الدوال في اللغة وهي التي تجعل الكلام مقبولا منطقيًا، وتعين المتكلم على استخدام اللغة استخدامًا سليمًا، فهمًا وإفهامًا، وعن طريق هذه المقدرة يستطيع المتكلم أن يحكم على قولة مثل: (الأرض الممطرة تتسلل إلى جحيم الجنة) بأنها غير مقبولة منطقيًا وإن كانت سليمة من الوجهة النحوية، وهذه العلاقة المنطقية التي نوهنا عنها إنّما تكون من ضمن القرائن المعنوية.

وقد يكون للقرائن المنطقية(المعنوية) الأثر الكبير في تحديد عدد كبير من الأبواب النحوية الأخرى، مثل: (أرضعت الصغرى الكبرى أمس رضعتان طوعًا اسكاتًا لها)

يتضح من خلال هذه القرينة أنّ(الكبرى) فاعل و(الصغرى) مفعول، وأن (أمس) ظرف لحصول الفعل، وأن (رضعتان) مفعول مطلق(وقد أُتي به على لغة من يلزم المثنى

ألفًا، رغبة في إبعاد أثر قرينة الإعراب قدر الامكان، وكذلك أتي به مصدرًا لغرض إبعاد تأثير قرينة صنف الكلام)، وأنّ (اسكاتًا) مفعول لأجله.

والذي جعلنا نحكم بهذا الحكم هو وجود القرينة المنطقية وهي التي يفهم منها أن الكُبرى هي التي تُرضع الصغرى عادةً، وأنَّ (رضعتان) هو بيان لعدد المرات التي تكرر فيها الفعل، وأن (أمس) حقبة من الزمن قصد بها متى حصل الفعل، وأنَّ (طوعًا) لبيان الحال التي حصل فيها الفعل عند صدوره من الفاعل، وأنَّ (اسكاتًا) مصدرًا أريد به بيان علة حصول الفعل.

تضافر القرائن

ويراد به اجتماع عدد من القرائن النحوية لكسف المعنى النحوي لكلمة ما في تركيب ما، فلا يمكن لظاهرة بعينها أن تدلّ بمفردها على معنى بعينه، ولو حدث ذلك لكان عدد القرائن بعدد المعاني النحوية، وهذا يتنافى مع المبدأ المعروف وهو(تعدد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد)، ويرجع الفضل للغوي الدكتور تمام حسان في معرفة القرائن وتضافرها، ومن الأمثلة التي أوردها: **(ضرب زيد خالدًا)**

ضرب: عند النظر إليها نجدها على صيغة(فَعَلَ)، وهي من صيغ الفعل الماضي، وهي تندرج تحت قسم من أقسام الكلم يسمى(الفعل)، ومن هنا نبادر إلى القول إنَّ (ضرب: فعل ماض).

زيد: ننظر إليه فنلاحظ ما يأتي:

١. إنّه ينتمي إلى مبنى الاسم (قرينة الصيغة).

٢. إنّه مرفوع (قرينة العلامة الإعرابية).

٣. إنّ العلاقة بينه وبين الفعل الماضي هي علاقة الإسناد (القرينة المنطقية أو المعنوية) ويسميها د. تمام حسان (قرينة التعليق).

٤. إنّه ينتمي إلى رتبة التأخير (قرينة الرتبة).

٥. إنَّ تأخره عن الفعل رتبة محفوظة (قرينة الرتبة).

٦. إنّ الفعل معه مبني للمعلوم (قرينة الصيغة).

٧. إنَّ الفعل معه مسند إلى المفرد الغائب (قرينة المطابقة).

وبسبب هذه القرائن نصل إلى أنَّ (زيد)هو الفاعل، ثم ننظر بعد ذلك إلى:

خالدًا: ونلاحظ:

١. إنّه ينتمي إلى مبنى الاسم (قرينة الصيغة).

٢. إنّه منصوب (قرينة العلامة الإعرابية).

٣. إنَّ العلاقة بينه وبين الفعل هي علاقة التعدية (قرينة التعليق)أو (القرينة المنطقية).

٤. إنَّ رُتبته من كل من الفعل والفاعل هي رتبة التأخر (قرينة الرتبة).

٥. إنَّ هذه الرتبة غير محفوظة (قرينة الرتبة).

وبسبب هذه القرائن نُسارع إلى القول بأنَّ(خالدًا) مفعول به.